مختصر محاضرة

:: قراءة تختلف :: حتى نقرأ القرآن بقلب

محمد مصطفى عبد المجيد

:: مقدمة ::

* كتاب الله عزيز ، لذلك قد يُحرم الإنسان من نعيمه لذنب أذنبه أو لسوء قصده .
* خصوصية رمضان بالقرآن :
- (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ، (إنا أنزلناه في ليلة القدر)
- مدارسة جبريل القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم في رمضان .
- حديث: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة) فكلاهما شفيع للإنسان .
- العلاقة الوطيدة بين الصيام والقرآن :

من حِكَم مشروعية صيام نهار رمضان تهيئة القلب لتدبر القرآن حين القيام به في الليل .
- إقبال الناس على قراءة القرآن في رمضان .
* ولكن ما حال قراءتنا ؟ وهل غيرت فينا ؟ وإن لم يكن فما السبب ؟
* مشكلة الكثيرين والتي تظهر من خلال نوعية الأسئلة التي تُطرح كل عام في رمضان بالخصوص فيما يتعلق بقراءة القرآن :
- يقرؤون ولكن ربما يشعرون بخطأ في طريقة التعاطي مع القرآن .
- وربما يريدون تحسين قراءتهم للقرآن .
- وربما يقرؤون ولا يجدون الأثر المرجو من القراءة في التدبر والتأثر والعمل وتغير الحياة .
* بين المطرقة والسندان : ثم الكثير محاصر بين طريقة التعاطي التي تهتم بكثرة الختمات ويتعلق فيها القلب بنهاية السورة ونهاية الختمة ، وأن يتدبر القارئ القرآن ويعيش آياته وينزلها على قلبه .
- ربما لا يتنازل القارئ عن تصور سابق بدا له خطؤه، يريد التمسك بالتصورات السابقة صوابها وخطئها ويضيف إليها .
- نريد أولاً أن نتفق على أن يكون لدينا استعداد لتصحيح الأخطاء إن وُجدت، لا محاولة الجمع بين الخطأ والصواب في آن واحد .
- نتفق على تصحيح طريقة التعاطي مع القرآن، وكيف نقرؤه من خلال تأسيس بعض الأصول، ثم في نهاية المحاضرة نذكر بعض الوسائل العملية التي يمكن الاستفادة بها أو ببعضها لتحقيق قراءة مختلفة للقرآن .

:: تأسيس بعض الأصول ::

١- لماذا أنزل القرآن ؟

- حتى نتمكن من تحقيق القراءة الصحيحة لابد أن نجيب أولاً عن هذا السؤال: لماذا أنزل القرآن؟
- بالإجابة على هذا السؤال نستطيع الإجابة على سؤال لماذا نقرأ القرآن بالتالي نستطيع تحقيق الأهداف الصحيحة للقراءة
- الإجابة : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) – (ليخرج الناس من الظلمات إلى النور) – (هدى للناس) - (موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ...)

- فما نزل لتقرأ ألفاظه فقط دون تفهم لمعانيه [ذكر صور من ذلك]
- ولن يكون لإنسان هدى أو يخرج به من الظلمات إلى النور بمجرد قراءة اللفظ دون الوقوف على المعاني والتدبر

والتطبيق العملي .
• أي : إننا نقرأ لنتدبّر - ليكون لنا هدى ونورًا - لنفعل الآيات في واقعنا - ليحدث تغييرًا في الفرد والأمة .

٢- القراءة بتدبر أم كثرة الختمات ؟

- الأفضلية فيها خلاف بين أهل العلم ، والجمهور على أن القراءة بتدبر أفضل وإن قلت معها عدد الختمات .
- هناك علاقة وطيدة بين إجابة هذا السؤال وإجابة السؤال السابق : لماذا أنزل القرآن ؟
- هنا إشكالان يعرضان عند الكلام في هذه المسألة: أحدهما متعلق بالأجر والآخر بالوقت الذي تستغرقه القراءة :

*** مسألة الأجر :**

- أي: يريد القراءة لتحصيل حسنات أكثر (بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها) ..
- هناك من يقرأ فيأخذ على كل حرف ١٠ حسنات وهناك من يقرأ فيأخذ ٧٠٠ حسنة، أي ضرب ال١٠ * ٧٠، فما الفرق بينهما ؟!

هنا يأتي الفرق بين من يقرأ ويتدبر ويقف على الآيات ويعمل بها، ومن يمر على اللفظ وحده دون تدبر، فالأول يضاعف له الأجر .

- إن كنت تبحث عن الأجر، فإن التدبر باب لمضاعفة الأجر المضاعفات .
- ختمة بسبعين: لعل ختمة = ٧٠ ختمة في الأجر .
- مثال ضربه ابن حجر رحمه الله يقرب الأمر:

(إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر بكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات وقد يكون العكس) ..

*** مسألة الوقت :**

- يقول القائل أن التدبر سيستغرق وقتًا وهو يريد أن يكثر من الختمات .
- نتفق أن الأصل هو تصحيح العمل لا مجرد إنجازه سريعًا .
- تصحيح في مفهوم التدبر: هل التدبر يستغرق وقتًا زائدًا في القراءة ؟

أدنى درجات التدبر: أن تعي المعنى الإجمالي لما تقرأ،تعلم الموضوعات الموجودة في الجزء أو السورة التي قرأتها .

- مثال : قرائتك لمقالة في الجريدة، تقرأ وبعد الانتهاء يمكنك أن تقول موضوع المقالة وأهم مقاصدها حتى إن خفي عليك بعض ما فيها من مصطلحات أو كلمات.
- هذه المرحلة في التدبر لا تستغرق وقتًا، فلو قام بإعمال قلبه مع عينه ولسانه لن يستغرق وقتًا زائدًا، فهو يسير بالتوازي فيهما لا بالتوالي، وهذا ملموس في امثال المذكور: قراءة المقالة.
- عدم صعوبة هذا الأمر ويقع منا مثلاً أثناء الحفظ: وأنت تحفظ تنتبه للموضوعات جيدًا لربط الموضوعات حتى تتمكن من التسميع جيدًا، أي: استطعت إحضار قلبك لمعرفة المعنى الإجمالي دون أن تستغرق وقتًا زائدًا، وإنما الهدفان يسيران بالتوازي في آن واحد .
- ثم إن زاد الوقت في القراءة بتحقيق مراتب أعلى في التدبر فهذا خير ومطلوب، وهو حقيقة الانتفاع بالقرآن.
- احذر أن تكون كمن قرأ وحقيقته أنه لم يقرأ:

ليس كل من قرأ قد قرأ، وليس كل من حُمِّل فقد حمل (مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها) ..

٣- ختمات للقراءة وختمات للتدبر :

- خروجًا من هذا الإشكال يختار بعض أهل العلم تقسيم الختمات إلى ختمات قراءة وختمات تدبر، ويسمون الأولى ختمة الحسنات، فبالتالي: تكون هناك ختمة قطار سريع وختمة أخرى بطيئة .
- مع احترام هذا الرأي إلا أنه يعترض عليه لأسباب متعددة .
- الأصل القراءة بتدبر، والتدبر على درجات .
- لا يسعنا أن نفرط في الحد الأدنى من التدبر .
- قد يصح الكلام في ذلك مع تحقيق الحد الأدنى من التدبر ، ولكن الواقع : الانشغال في ختمة القراءة بقراءة الحروف وإغفال المعاني عمدًا، فتجد القارئ في ختمة القراءة إذا انتبه إلى معنى يقول لنفسه: دعي ذلك لختمة التدبر ، ويصرف قلبه بنفسه، فلا يكتفي بغفلته بل يزيد عليها بوضع نفسه في مزيد غفلة بتجاهله المواعظ التي تأتيه .

ـ القلب لا تتحكم فيه بالـ (ريموت كنترول) :

ليس هناك زر تضغط عليه وقت أن تريد التدبر وتضغط عليه مرة أخرى وقت ختمة القراءة، وربما ما يُفتح عليك في ختمة القراءة -كما يسمونها- لا يفتح في ختمة التدبر، فعلى القارئ استثمار فرص اليقظة حتى لا تكون نعمة قد كفرها.

ـ النتيجة المطلوبة :

*** كل الختمات ختمات تدبر وتفكر ومناجاة وعمل، ويأتي في الوسائل بعض الأمور التي تساعد في تحقيق ذلك .**

*** من الممكن جعل سورة لدرجات أعلى وأعمق في التدبر والتفكر، وتكون مشروع الشهر :**

(يعيش معها – يقرأ تفسيرها – يطالع معانيها بعمق - ...) ..

:: منطلقات هامة للقارئ::

١ـ أزل الأقفال وحطم الموانع :

ـ أقفال المعصية والران الذي يكون على القلب : وعلاجه التوبة والاستغفار .

ـ الموانع من الشواغل: الغفلة – التليفونات ـ الفيس ـ كثرة المشتتات أثناء القراءة .

ـ صورة : من يقرأ من الهاتف والفيس مفتوح وكلما أتاه تعليق قطع الآية ليراه! فهذا يضع نفسه في اختبار القرآن أم الفيس ، ويفشل فيه عدة مرات، وهذا له أثره في إغلاق القلب .

٢ـ اعلم مجالات تيسير القرآن :

ـ ولقد يسَّرنا القرآن للذكر: التيسير يشمل القراءة والتدبر والفهم والعمل، ولا يقتصر على تيسير ألفاظه فقط .

ـ من العوائق أن يصرفك الشيطان عن التدبر تورعًا، قال ابن هبيرة :

(ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن، لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا) ..

ـ فهم المعاني الإجمالية متيسر: وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا، لا تحزن إن الله معنا ، إن الله يحب المتقين ، كلا إن معي ربي سيهدين ، ....

٣ـ اقرأ القرآن كما يحب الله :

ـ قال القرطبي : (فإذا استمع العبد إلى كتاب الله وسنة نبيه بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب وجعل في قلبه نورًا) ..

ـ أحضر قلبك واجتهد في ذلك .

ـ ما تقرؤه غافلاً أعد قراءته مرة أخرى : لتقرأه كما يحب – لعل فيما فاتك آية تكون فيها نجاتك – الأجر (ختمة بسبعين) ..

٤ـ اقرأ للعمل :

ـ لا يتحقق ذلك إلا مع إحضار القلب أثناء القراءة .

ـ اقرأ بنفسية : هذه رسائل الله إلي، فماذا أنا صانع ؟

ـ قال الحسن بن علي : (اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فليست بقراءة)

ـ قال الحسن البصري : (وما تدبُّر آياته إلا باتباعه)

ـ قال الآجري : (يتصفح القرآن ليؤدب نفسه: همته: متى أكون من المتقين ؟ متى أكون من المخلصين ؟ متى أكون من الصابرين ؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن هواها)

ـ فتقرأ لتعمل : ما الآية التي غيَّرت فيَّ اليوم ؟ (تسجل يوميًا في كراسة التدبر : ما الآية ـ ما معناها ـ ما التأثير العملي الذي سوف تغيره فيّ) .

- كان هذا هو حال الصحابة (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًاَ وهم يستبشرون)
- عمليًا : قم بتحضير نوتة تقيّد فيها الأعمال التي تنتبه لها من خلال الآيات .
- انتبه أنك تكتب لنفسك ، فلا تعسِّر عليها في الكتابة بكتابة التفاصيل، فاكتب مفاتيح فقط تذكِّرك، ولا داعي للإسهاب والتفصيل .

٥- لتكن قراءتك مناجاة :
- المناجاة من أعظم الوسائل التي تعين على استحضار القلب أثناء القراءة .
- حديث : (ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يقرأ القرآن) ، أذن أي : استمع .
- حال المناجي : من استحضار القلب – التغني بالقراءة لأن الله يسمعه ولأنه يناجي الله بكلامه - التغني المنضبط له أثره في التدبر والتأثر .

٦- متى وجدت قلبك قف :
- ضعف القلوب ، وضرورة استغلال لحظات اليقظة والانتباه لرسائل القرآن .
- الآية التي تجد قلبك عندها :
إن احتجت للرجوع لتفسيرها : سجلها في النوتة للرجوع لها في وقت مخصص في جدولك لمراجعة ما تريد في التفسير - لا للعشوائية .
التكرار : أهميته – وروده عن النبي والصحابة – كيف تعلم الصحابة التدبر ؟ من أهم ما تعلموا به التدبر : قيام الليل والتكرار .

٧- الصلاة وأثرها في التدبر :
- الصلاة لها أثر كبير في تدبر القرآن، وخصوصًا القراءة في القيام، ورمضان له خصوصية بالقيام .
- اغتنام التراويح : استغلالها في إحضار القلب مع قراءة الإمام – القراءة القبلية قبل الصلاة .
- القراءة منفردًا : ليست بالكم – قلبك أولاً - ليكن لك ولو ركعتان منفردًا بعد التراويح، لا تنشغل فيهما بالكم الذي تحصّله ولكن اقرأ لتتدبر ويخشع قلبك .

:: وسائل عملية مقترحة ::

١- ختمة الغريب :
- من فوائدها: معرفة المعاني – وسيلة قوية في إحضار القلب أثناء القراءة .
- تقرأ وتطلع على معاني الكلمات الغريبة التي لا تعرفها .
- لتكن هذه أول ختمة لك في رمضان .
- أنصح بكتاب السراج في غريب القرآن، أو القراءة من مصحف على هامشه معاني الكلمات .
- لا تقل: سأنساها! ففي كل مرة سيثبت منها جزء، حتى تقل عدد الكلمات الغريبة في المرة التي تليها .

٢- تتبع معنى معين في الختمة :
- من فوائدها: البحث عن الهدى – العمل والتربية بالقرآن – - رفع الانتباه أثناء القراءة .
- التركيز المقصود يكون على القضايا التربوية والإيمانية لا المسائل العلمية .
- تجمع في كراسة التدبر ، أو مصحف السلام: مصحف على هامشه فراغ وأسطر لتكتب عليها ماتريد .
- بعد الجمع بصورة دورية كل عدة أيام (٣ أو ٥ مثلاً) نراجع أنفسنا : إلام وصلنا في هذا المعنى ؟

- في هذه الختمة يجب أن ننتقل لمرحلة التفعيل بعد التسجيل ، بمعنى أنك تسجل المعنى ، وتفكر كيف تطبقه ، وتكتب نقاطًا عملية تتابع نفسك فيها .
- أمثلة مقترحة :
كيف أعالج قسوة قلبي – من الذين يحبهم الله – كيف تكلم الأنبياء مع أقوامهم – كيف نتعامل مع المصائب – نعم الله التي من بها على خلقه – نداءات الله للمؤمنين – نداءات الله للناس – الأعمال التي رُتب عليها دخول الجنة لفظا – صفات القرآن في القرآن وكيف أنتفع به من خلال معرفتها ..... -

٣- قراءة في كتاب تفسير :
- يقترح المختصر في التفسير (عرض الكتاب ومميزاته) فإن لم يتيسير فالتفسير الميسر .
- لا ترتبط ختمة التفسير بختمة التلاوة حتى لا تعطل إحداهما الأخرى .
- حال قراءة التفاسير المختصرة يمكن أن يقرأ ما تيسر من تفسير مطول، مع نية إتمامه بعد رمضان .
- الإشارة أيضًا إلى المعاني التي يقف عندها ولا يكن همه إنهاء الختمة .

٤- اختيار سورة والحياة معها في الشهر :
- سبق الإشارة إليها .
- يفضل أن تكون السورة من محفوظه حتى لا تكون هناك صعوبة في استحضار الآيات. - يفض أن تكون من السور المحورية التي شرع تكرارها .

٥- ختمة السماع :
- عبادة السماع وأهميتها – تثاب عليها .
- المقصود: ختمة يحضر فيها القلب لا ختمة لا ينتبه فيها القلب .
- اختر قارئًا تجد قلبك وأنت تسمعه – ركز مع الآيات - في حال الشواغل استخدم سماعات أذن – أعد ما تريد مما تسمع متى وجدت قلبك .

٦- جلسات المدارسة :
- في الجزء المقروء – أو في سورة للمدارسة – حسب الوقت والإمكانات .
- يمكن تنفيذها مع الأصدقاء الذين تراهم باستمرار - مع رفقة المسجد - مع أهلك بالبيت .

ختامًا .. يا قارئ القرآن :
- لابد من المجاهدة وتفريغ الوقت والاهتمام .
- ما تطلبه عظيم فقف بالباب حتى يفتح لك، وإن استعجلت وانصرفت ستُحرم .
- أضعنا الكثير، ولكن ما زال في العمر مستعتب، فنغير قراءتنا الآن ولنستعن بالله ولا نسوف .
- اقرأ القرآن وتدبره وقف على معانيه وفعله في حياتك؛ فإنما الحياة اختبار في القرآن ، والقرآن حجة لك أو عليك .

أصل المختصر
محاضرة ألقيت بتاريخ ٢٩ شعبان ١٤٣٥هـ - ٢٧-٦-٢٠١٤م
بمسجد ابن تيمية بالإسكندرية
تم بحمد الله